أثر القيم الأخلاقية في بناء النفس البشرية

وانعكاساتها السلوكية في المجتمع، في ضوء سيرة الإمام علي عليه السلام

أحمد محمد جواد الحكيم*

● مقدمة

إن البحث في طبيعة النفس البشرية ومن ثم الوصول إلى فهم أفضل لمسلك الإنسان وتصرفاته في المجتمع، من خلال مؤثرات القيم الأخلاقية، هي من أعقد ما واجهته مجموعة العلماء والمفكرين والمصلحين والقادة على مر العصور، الذين كانت غاياتهم، هي الضبط الأخلاقي لميول هذا الإنسان والسيطرة على أهوائه وأنانيته من جشع وعدوانية وقساوة، وظلم وتهالك نحو السلطة والزعامة، وجمع الثروة، والجري وراء المناصب والرغبات، التي يحاول تحقيقها بوسائل منافية لمبادئ الدين والأخلاق والقواعد الاجتماعية الحميدة.

وقد حاول قسم من هذه المجموعة إصلاح ذلك بإجراءات نظرية فحسب، من خلال الوعظ والإرشاد المجرد، دون أن يكون له أي موقع عملي مؤثرفي المجتمع. بينما في المقابل هناك من انطلق في جهده بالجمع بين الناحيتين النظرية والعملية. ومن هؤلاء الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ،الذي كان عالماً، حكيماً، فقيهاً ،من ناحية. ومن ناحية أخرى هو الحاكم والخليفة للمسلمين. لذلك جاءت سيرته وخطبه ووصاياه ورسائله، في خضم معاركه وكفاحه الصلب في سبيل تثبيت قيم الحق والعدل والمساواة.

* باحث واكاديمي / العراق

أضـف إلى ذلـك نضاله الشـديد ضد مختلف أنواع الشـر الأخلاقي وضد السلوك المنحرف عن مسـتلزمات الأخلاق الإسلامية. لهذا نجده، من خلال سيرته، يقوم بتحليل دقيق ووصف عميق لطبيعة النفس البشـرية وسبر أغوارها وخفاياها.غيـر أن الـذي أكسـب مضاميـن سـيرة الإمام، أهميـة بالغة، كونهـا نابعة من معاناتـه ومن خبرته عنـد تعامله مع أصناف متعـددة من الناس، بخاصـة مناوئيه، فضلا عن تعقيدات المشـكلات التـي واجهته.وعلى أساس هذه السيرة، سـنتناول في هذا البحث أثر القيـم الأخلاقية في بناء النفس البشـرية وانعكاساتها السلوكية في المجتمع، من خلال أربعة محـاور هي: المراد من القيم الأخلاقية، وسـلوك الإنسـان وتصرفاته، ثم وسـائل بناء النفس البشـرية وانعكاسـات القيم الأخلاقية علـى الإنسـان فـي المجتمع،ومفارقـات في الأخلاق والسلوك.

أولاً، المـراد من القيم والأخلاق والسـلوك الإنساني

إن القيـم والأخـلاق والسـلوك، هـي مفاهيم مترابطـة، متداخلـة، مـن ناحيـة المعنـى والممارسة العملية، التي تؤثر فيها تأثيراً كبيراً الحاجـات والمصالح السـائدة فـي المجتمع. والقيم، قد ذكرنا معناهـا في المقدمة، تعتبر مبـادئ أوليـة، معناها في الفلسـفة : ظاهرة مادية أو روحية، تلبي متطلبات معينة للإنسان أو المجتمـع، وتخـدم مصالحـه وأهدافـه[١]. وتشمل صنفين أحدهما إيجابي وآخر سلبي. فالإيجابي مثل الخير والحق والعدل. والسلبي كالغـدر والمكـر ونقـض العهـد .وتتيح هذه القيم للإنسـان أن يتصرف ويتعامل مع غيره في الحياة اليومية بالنحو الذي يراه ويعتقده، وتتمثل في طبيعة نفسه البشرية.

أمـا الأخـلاق، فهي جمـع كلمة الخُلُـق، وهي السـجية والطبع وصـورة الإنسـان الباطنية، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة به، حسـنة كانت أو قبيحة[٢].وفي علم الفلسـفة، فإن الأخـلاق أو الآداب، هـي مجموعة أصول وأحكام وقواعد سـلوك الناس فـي المجتمع. وهـي تعكـس تصـورات النـاس عـن العدل والظلـم والخيـر والشـر والكرامـة والخيانة إلخ[٣].وللأخـلاق تأثير مباشـر علـى مختلف ميادين الحيـاة، مـن السياسـة والاقتصـاد وغيرها. ويترافق مع مفهوم «الأخلاق» كلمتان مشتقتان منه وتشيعان في الإستعمال اليومي همـا «الأخلاقي»، و»غير الأخلاقـي» أو أحيانا «اللاأخلاقي».فالأخلاقـي هو: ما يتفق وقواعد الأخلاق أو قواعد السلوك المقررة في المجتمع. وعكسـه اللاأخلاقي[٤].إن المعضلة الأساسية في مفهوم الأخلاق، ترتبط بفرز التناقض بين المتطلبـات الأخلاقية العامـة للمجتمع، وبين سلوك الإنسان الفعلي.

والسـلوك الإنسـاني، يعني سـيرة الإنسـان، اتجاهه، تفكيـره، ومجمل تصرفاتـه وأفعاله الـذي يتجه بها إلى وجهة معينـة، معبرة عن شـتى جوانب طبعـه الأخلاقي.ومن المعروف أن صفـات الإنسـان وتصرفاتـه الأخلافيـة، ليسـت جميعهـا بالقضايـا التي تولـد معه، إنما هي أشـياء يكتسـبها من محيطه بمرور الزمن، بخاصة في المراحل الأولى من حياته.

وينحصر سلوك الإنسان من جانبين أساسين. أحدهما جانب الخير والفضيلة. والآخر جانب الشر والرذيلة.الذي يهمنا هنا، هو البحث عن محركات السلوك، بمعنى ما الذي يدفع الإنسان أو الجماعة إلى تبنّي سلوك معين، والإلتزام بقيم أخلاقية معينة ومتطلباتها.فقد أشار بعض علماء النفس، أن القيمة الهادفة هي المهمة في توجيه السلوك، أي ما يتوقعه الإنسان من نتيجة هو الذي يقرر نوعية سلوكه، وهناك من اعتقد أن أن «إزالة التوتر» و«إشباع الحاجة» المحرك الأهم في تثبيت السلوك وتعزيزه[٥].

ومهما يكن من أمر فإننا نجد في نهج البلاغة، من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، دلالات سبقت علماء النفس تشير إلى أن الرغبة والشهوة، والتعلق الشديد بنعم الحياة، واتباع هوى النفس المذموم، والطمع، جميعها تعد من المحركات الأساسية للإنسان، وهي طاقات نفسية حيوية عامة، تجعل الإنسان يميل إلى ما يحب ويشتهي ويحرص عليه ويطمع فيه، سواء كان محموداً أو مذموماً.وقد شبه عليه السلام،الإنسان، عندما تتملكه الرغبة في الدنيا ، كأنه الأسير المقيد بالسلاسل، فيقول: « يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ» المعرج:المائل إليها أو المعول عليها أو المقيم بها. ويروعه: يفزعه. والصريف: صوت الأسنان عند الإصطكاك. والحِدثان- بالكسر- النوائب[٦]. اقصروا: قللوا .

ويتداخل مع معنى «الرغبة»، مفهوم آخر هو «الشهوة»، وهي الرغبة الشديدة، التي تتمناها النفس وتنزع إليها.إذ يقول الإمام: « وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ » [٧]. لهذا فهو يدعو بالخير والنعمة لمن ينزع من نفسه الشهوة والهوى فيقول: « فَرَحِمَ اللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ «[٨].

وهناك مصطلح آخر، يأتي بذات معنى الرغبة الشديدة، والشهوة، وهو «اللذة»، أي نقيض الألم، وملاءمة الشيء للشهوة والرغبة[٩]. وفي علم النفس إنها لاتعني المتعة الحسية-المادية فقط، بل الشعور الذاتي بالرضا والإسترخاء والسعادة[١٠].لهذا يحذر أمير المؤمنين عليه السلام أن تكون اللذة هي أفضل شيء في دنيا المرء، فيقول:» فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ وَ لَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ «[١١].ويقول أيضا: « إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ »[١٢].

كذلك يتداخل مفهوم «الطمع» مع ما ذكرناه من مصطلحات، ويعني أيضاً الرغبة في الشيء واشتهاؤه[١٣].لذلك يحذر عليه السلام من التمسك الشديد بالطمع، وما يؤدي من نتائج مهلكة، فيقول: « اِيَّاكَ اَن تُوجِفَ بِكَ مَطايَا الطَمَعِ فَتُورِدَكَ مَناهِلَ الهَلَكَةِ » توجف: تسرع ، والمناهل: من ترده الإبل ونحوها[١٤]. كما يؤكد الإمام ذلك بقوله: « أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ»[١٥].

والنفس البشرية إنما تتجه نحو هذا السلوك المنحرف الذي يتمثل بالطمع، واللذة والرغبة والشهوة، للحصول على المكاسب الدنيوية،

نتيجة عوامل عديدة منها، أن الإنسان لا يمكنه الصمود أمام المغريات، من مال وسلطة وزعامة، لذلك فهو يستسلم أمامها، نتيجة ضعف إيمانه، وضعف إلتزامه بالقيم النبيلة، فهو إذن يبحث عن «الإستمتاع»، مكافحاً من اجل هذه المغريات، جاعلا من مصالحه الخاصة فوق كل اعتبار، غير مبالي بمصير الناس من حوله، وبهذه الحالة يصبح عبدا لشهواته ويعيش من أجل الاقتناء، الأمر الذي يجعله لا يلتزم بقيمه ومبادئه الروحية والأخلاقية .

ويبين لنا عليه السلام، أن الإنسان عندما تصبح الدنيا وملذاتها هي الهدف، والغاية الأساسية الأولى عنده، فإنه سيفضلها على اتباع أوامر الله وأحكام الدين الحنيف، ويصبح بهذه الحالة عبدا لهذه الحياة، فيقول: « مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا»(١٦).وبهذه الحالة يصبح عقل الإنسان، عبدا لعواطفه ومشاعره.وقد أشار أمير المؤمنين بشكل رائع إلى ثلاث قضايا رئيسية من نعم الحياة، يسعى كثير من الناس نحوها ويهلكون أنفسهم ودينهم في سبيل الحصول عليها وهي: الثروة والسلطة والزعامة، فيقول عن أحد الناس: « قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ»(١٧).وأشرط نفسه: أي هيأها وأعدها للشر والفساد في الأرض أو للعقوبة وسوءالعاقبة . أوبق دينه: أهلكه . والحطام: المال . ينتهزه: يغتنمه أو يختلسه . والمقنب: جماعة من الناس أو غيرهم. ومقنب يقوده ، إشارة للسلطة التي يتكالب عليها الكثير من الناس ، بسبب أهميتها ومتعتها . وفرع المنبر: طاله وعلاه.وقد استخدم عليه السلام، جملة «منبر يفرعه» ، أي يصعد المنبر ويخطب في الناس، كناية على الرفعة وزعامة الناس وأمرتهم.

ويبين الإمام كيف تتغير أخلاق الإنسان إلى الشر والرذيلة، عندما يختار هذا الإنسان الدنيا على الآخرة، فيقول: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَ قَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَ بَسِئَ بِهِ وَ وَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ وَ صُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ». بسيء به: استأنس به . المفرق: من الرأس حيث يفرق الشعر . وصبغت به أخلاقه : صار عادة له وسجية . مزبدا كالتيار: هو كالماء عنفوان جريانه وفيضانه . والهشيم: اليابس من كل شيء.

يبين عليه السلام هنا، كيف أن المنكر أصبح ملازما للفاسق، معتادا عليه، ومستأنسا به، طوال حياته، وقد أصبح هذا المنكر جزءا لا يتجزأ من أخلاقه، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى أصبح هذا الفاسق لا يكترث ولا يهتم بما يحصل للأخرين نتيجة فجوره ومعاصيه وتركه أوامر الله، وتجاوزه على حدود الشرع. ثم يتسائل بألم عن مكان أولئك الذين يسيرون على طريق الهدى والتقوى وطاعة الله، فيجيب أنهم يتدافعون على متاع الدنيا ويتنازعون على الأشياء المحرمة، فيقول: «أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى

وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ»[١٩].ازدحموا: تدافعوا . الحطام: متاع الدنيا . تشاحوا: تنازعوا.

ثانيا، وسائل عملية لبناء النفس البشرية

إن وسائل بناء النفس البشرية تدخل في ميدان التربية الأخلاقية، التي تتمثل في مستويين. أولهما ذاتي، وهو فهم واستيعاب القيم الأخلاقية من جانب الفرد، من حيث امكانية ممارستها بصورة واعية. والمستوى الثاني، هو متطلبات المجتمع الخارجية من سلوك الفرد، وتفاعله مع محيطه. سنبين قسما من هذه الوسائل العملية.

١.قوة المثال الشخصي

يتسم المثال الذي يضربه الشخص في المجتمع، بخاصة إذا كان في موقع المسؤولية، ببالغ الأهمية في التربية الأخلاقية، ذلك من خلال أفعاله وتصرفاته وسيرة حياته. ومعنى المثال، هو شيء يقاس عليه ويتخذ نموذجا[٢٠]. ويسمى هذا الشيء أيضا المثل الأعلى، وهو الشخص الذي يهتدي به الأخرين. ونحن نقصد هنا المثل الأعلى الأخلاقي الإيجابي، الذي ينشأ نتيجة تعميم كل ما هو خير وفضيلة وحق وعدل.لذلك نجد الإمام علي عليه السلام قد ضرب لنا مثلا صارخا في الالتزام بمبادئ الدين الحنيف، حين طبقها على نفسه أولا، ثم على الآخرين.ومن هنا تبرز، وحدة القول والفعل عند الإمام، وليس الوعظ النظري فحسب، وهناك أمثلة عديدة عملية على ذلك.إذ يقول الإمام في هذا المجال: « إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا »[٢١].وتعد عملية الإهتداء والإقتداء بالمثل الأعلى الأخلاقي أحد الأساليب التي تدفع الإنسان إلى الإلتزام بالقيم النبيلة وإصلاح نفسه كي يقترب من سمات المثل الأعلى. ولكن لماذا المثال يمتلك قوة للتأثير في سلوك الآخرين؟ يُرجع علماء الاجتماع ذلك إلى أربعة عوامل :(١) لأن المثال مرئي. فهو لايؤثر في الذهن وحسب، بل يؤثر كذلك قبل كل شيء، في الميدان الانفعالي الحسي.(٢) المثال مُعدِ، فهو يشكل علامة الهدف، ويجتذب، ويوقظ الهمة ويستحثها.(٣) في المثال ترد القيم الأخلاقية في وحدة تمازج مع الفعل المادي الملموس.(٤) ينطوي المثل ويقدم البرهان على وحدة القول والفعل، ويخلق جو الثقة والصدق اللذين لا يمكن بدونهما عموما أن يقوم التأثير الأخلاقي، وبالتالي التربية الأخلاقية[٢٢].لابد من التأكيد هنا، أن فعل أي شخص يكون أكثر أثرا في نفوس الآخرين من أقواله، وهو ما نلاحظه عند اللذين يتاجرون بالمجردات، مثل العدالة والحق، دون أن يطبقوها في الواقع العملي، أو يعملوا بعكسها تماما، فهم لا أثر فعلي لديهم .لذلك نجد الإمام قد حذر من هذه الحالة بقوله: « لاَ تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو اَلآْخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَ يَرْجُو اَلتَّوْبَةَ بِطُولِ اَلْأَمَلِ يَقُولُ فِي اَلدُّنْيَا بِقَوْلِ اَلزَّاهِدِينَ وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ اَلرَّاغِبِينَ »[٢٣].

كما أن هذه الصفة كانت عند المتخاذلين من

أنصاره، لذلك فقد ذمهم بقوله: « كَلاَمُكُمْ يُوهِي اَلصُّمَّ اَلصِّلاَبَ وَ فِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ اَلْأَعْدَاءَ». ثم يتعجب بقوله: « أقولاً بِغَيْرِ عَمَلٍ»[٢٤].

٢.تحليل وتصنيف مواطن الضعف الأخلاقي

قدّم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وصفاً دقيقا، وتحليلا عميقا، لمواطن الضعف الأخلاقي وانحطاطه، ولرغبات الإنسان المنحرفة التي تقوده لتحقيق أمانيه وغاياته، سواء عند مناوئيه أو أنصاره.فضلا عن ذلك، فقد صنّف هؤلاء المنحرفين إلى مجموعات حسب سلوكها وتصرفاته.

(أ) وصف للخصائص السلبية للنفس البشرية

لقد وصف الإمام النفس البشرية، وصفاً، رائعا، حيث قام بترتيب خصائص النفس بصيغة ثنائيات، كل ثنائية تتكون من حدين. الأول يمثل صفة معينة للنفس البشرية، والحد الثاني يبين طريقة تصرف الإنسان حين يتمتع بهذه الصفة، التي تكون سلبية، عادة، عند كثير من البشر. سنذكر قسما مما أشار له الإمام وهو يبين ما يحصل للإنسان في هذه الحالات:

« فَإِنْ سَنَحَ لَهُ اَلرَّجَاءُ أَذَلَّهُ اَلطَّمَعُ »،أي إذا حصل على ما يريد، أهانه الطمع في المزيد. « وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ »، وإن تحرك وفار به الطمع أماته الجشع، وهو شدة إرادة الشيء بشدة.« وَإِنْ أَسْعَدهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ »، وإن سارت أحواله على نهج ما يحب ويرغب، غفل عن التحرز والتوقي والتيقظ من المضرات.«إِن اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ»، وإن حصل على ما يريد وذهب عنه الخوف والوجل وصار آمنا على نفسه وماله، استهوته الغفلة واستولت عليه وذهبت به عن رشده[٢٥].

(ب) تصنيف النفس البشرية

هناك تصنيفات عديدة للنفس البشرية المنحرفة،ذكرها عليه السلام، في مناسبات عديدة،نستطيع استخلاصها ، لكنها قد تكون متداخلة فيما بينها وهي:

ـ المجموعة التي لايمكن الثقة بها في حمل مبادىء الدين.

بين الإمام أن هناك أربعة أصناف من الناس الذين لا يلتزمون بمبادئ الدين وليسوا من رعاته، ولا يمكن الثقة بهم، بقوله: « مُسْتَعْمِلاً آلَةَ اَلدِّينِ لِلدُّنْيَا وَ مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اَللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ اَلْحَقِّ لاَ بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ يَنْقَدِحُ اَلشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ اَلْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَ اَلِادِّخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ اَلدِّينِ فِي شَيْءٍ»[٢٦]. أحنائه:جمع حنو، أطراف الشيء ونواحيه. ينقدح:يخرج بقوة. أما الأصناف الأربعة فهي: الأول، يستعمل وسائل الدين لطلب الدنيا، ويستعين بنعم الله تعالى على إيذاء عباده. والثاني،يتبع أهل الحق لكن لا بصيرة له بمعرفة الحق وخفاياه.الثالث، مولع بطلب ملذات الدنيا، وسهل الانقياد للشهوة.والرابع، مغرم بجمع المال وادخاره.

ـ مجموعة الساعين لطلب السلطة

يعد تصنيف الإمام، للساعين نحو السلطة والحكم بأي وسيلة، من أهم القضايا التي

تشـغل الناس، فقد حددهم في أربعة أصناف بقوله: «وَالنَّاسُ عَلَـى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُـهُ الْفَسَـادَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِـهِ وَكَلَالَـةُ حَدِهِ وَنَضِيضُ وَفْـرِهِ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَـرِهِ وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ وَمِنْهُـمْ مَنْ يَطْلُـبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِـرَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ». كلالة حده: أي ضعف سـلاحه عن القطع في أعدائه . ونضيض وفـرة: قلة ماله . الضؤولة: الضعف[٢٧].بمعنـى أن الأول، لا يسـتطيع الوصـول إلـى السـلطة بسـبب قلـة أنصاره وماله وضعف سلاحه. والثاني يستعمل القوة لتحقيق غاياته. والثالث يستخدم الدين ستارا لـه لطلب الحكم، اي يسـتخدم المكر والخداع والحيلة. والرابع ضعف حاله وانقطاع مؤيديه.

ـ مجموعة الشر والضلالة

لقد بين لنا أمير المؤمنين، أن مجموعة الشـر والضلالـة، تتألف من ثلاثـة أصناف: أبغض الخلائق، وشـر الناس، والتي ينبغي محاربتها ومقاتلتها.أمـا مجموعـة أبغـض الخلائق إلى الله،فهي مجموعـة الضلالة والفتنة والتغرير، وتضـم فئتين، كما يقـول الإمـام: «إِنَّ أَبْغَضَ اَلْخَلاَئِـقِ إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى رَجُلاَنِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اَللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ اَلسَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلاَمِ بِدْعَـةٍ وَ دُعَاءِ ضَلاَلَـةٍ.... وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهْـلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ اَلْأُمَّـةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ اَلْفِتْنَةِ عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ اَلْهُدْنَةِ قَدْ سَـمَّاهُ اَلنَّاسِ عَالِمـاً وَ لَيْسَ بِه».وكله الله إلى نفسـه: كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد، لا يرجع إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب. قمش جهـلا: جمعه. موضع فـي جهال الأمة: مسـرع فيهم بالغش والتغرير . عاد: مسرع . أغباش الليل: بقايا ظلمته ، أي أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو إلى غايتـه من التصور فيهم والسـيادة عليهم مما يظنه الجهلة علما وليس به[٢٨].

باختصار إن أحد الفئتين، هي التي تسـير خلف هواهـا فيما تعتقد، وعن قصد، والأخرى تدعـي العلـم والمعرفـة، غرضهـا التحكـم بالنـاس والسـيادة عليهم. وأما مجموعة شـر الناس،وتضم هذه المجموعة، شـر الناس عند الله،وهـم الظلمـة كالحاكـم الظالـم أو الإمام الجائـر، الذي يخلـط الحق بالباطـل، ويغيّر الأحكام حسب هواه، لذا وصفه أمير المؤمنين بقولـه: «وَإِنَّ شَـرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّـهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَـةً»[٢٩]. كمـا أن المجموعـة التي ينبغي مقاتلتها، تضم فئتين أيضاً ،كما يقول الإمام: «وَإِنِّـي أُقَاتِـلُ رَجُلَيْنِ رَجُلًا ادَّعَى مَـا لَيْسَ لَهُ وَآخَـرَ مَنَـعَ الَّـذِي عَلَيْـهِ»[٣٠].أي أن هناك فئة تدعـي ما ليـس لها وتحـاول الحصـول عليه بشـتى الطـرق والوسـائل . وفئة تمنـع الذي عليها من واجبات.

٣. الإستقامة في المعاملات

يرشـدنا أمير المؤمنين علي عليه السـلام، في مبدئيتـه الصارمـة والتزامـه التـام بالأحكام الإلهية، إلى أحد وسـائل بناء النفس البشرية، وهي الإسـتقامة فـي المعامـلات التي تتصل اتصالا مباشرا مع عامة الناس. إذ تتجلى هذه

السياسة برفض جميع أنواع المساومات غير الأخلاقية، وما تتضمنه من مداراة ومحاباة ومداهنة ومصانعة، التي تؤدي إلى التساهل أو الإبتعاد عن تطبيق حدود الله في العدل والمساواة. لأن جميع هذه المسالك تستلزم بطريقة أو أخرى الكذب والغش والخداع والغدر ونقض العهد.

وقد برزت هذه المسالك أكثر في موضعين رئيسيين هما طريقة توزيع الأموال على المسلمين، وعملية اختيار ولاة الأقاليم وعمالها. ففي الموضع الأول، سار الإمام في سياسته العامة على مبدأ تقسيم الأموال بين المسلمين جميعا بالتساوي، بما فيه هو، وأهله وذوي القربى، رافضا المحاباة والمداراة لكبار القوم وغيرهم، اللذين ألفوا حياة التساهل في تطبيق حدود الله، لذلك لم يسهل عليهم مساواتهم بمن هم دونهم،فناصبوا العداء للإمام وحاربوه.على هذا الأساس فإن الإمام يقسم بالله أنه لن يصيب أي من متاع الدنيا بغير حق، بقوله: «وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ»[٣١] .الحسك: الشوك . السعدان: نبات بري له شوك . سهد: أرق ولم ينم بالليل. مصفدا: مقيدا . الحطام: متاع الدنيا.

أما الموضع الثاني الذي تدخل فيه المحاباة والمساومة وغيرها، هو عملية اختيار ولاة الأقاليم وعمالها. لذلك نجد أن الإمام يؤكد ويوصي أن يكون الاختيار سليما معتمدا على الأخلاص والكفاءة والخبرة، كما يوصي واليه مالك الأشتر فيقول: « ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ»[٣٢].أثرة: أي فضله على غيره.وتدخل في المعاملات، أيضا وسائل المصانعة والمداهنة، التي تعني سلوك الإنسان المتلون، المنافق، ظاهره خلاف باطنه.لذلك ينهى الإمام، عن المداهنة فيقول: « وَ لَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ»[٣٣]. يهجم بكم : يدخل بكم بسرعة.كذلك ينهى الإمام، أنصاره، عن مخالطتة بالمصانعة، فيقول: « وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ»[٣٤].

٤. محاسبة دقيقة من النفس ومن الآخرين

من الوسائل المؤثرة في بناء النفوس وتهذيبها، التي أشار لها أمير المؤمنين، هي محاسبة الإنسان لنفسه ، وتقبّل محاسبة الآخرين له، من أجل كشف أخطاء النفس وانحرافاتها وتذليلها، كي يسير الإنسان على طريق الخير والفضيلة، مبتعدا عن الرذيلة والخطأ. وقد بين لنا الإمام منافع المحاسبة الذاتية، كما أرسى لها أسسا تقوم عليها، نذكر منها:أولا، أن منافع المحاسبة الذاتية، هي بالتأكيد للإنسان نفسه، ومن ثم تنعكس على المجتمع بأسره. إذ سيكون هو الرابح، لأنه سيسلك طريق الإستقامة، وبعكسها سيكون هو الخاسر، كما يقول أمير المؤمنين: « مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ»[٣٥]. ثانيا ، يحذر الإمام تحذيرا شديدا اللذين لا

يقومون بمحاسبة أنفسهم، أنه سيأتي اليوم الذي سيحاسبه الآخرون على ما اقترفه من موبقات وانحرافات، عند ذلك لا يبقى أي مجال للتغيير أو التصحيح، فيقول: « عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا »[٣٦]. ثالثا، يؤكد الإمام أن الذي لا يستطيع أن يزجر نفسه ويبعدها عن الأخطاء والإنحرافات، لا يمكنه قبول مواعظ الآخرين ونهيهم له، فيقول:« وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ »[٣٧].

كانت هذه ،المحاسبة الذاتية للإنسان من نفسه، لكن هناك محاسبة أخرى، تأتي من الآخرين، مهما كان هذا الإنسان، لذلك فإن الإمام وهو الحاكم للمسلمين يطلب من أنصاره، أن لا يترددوا في قولهم الحق والعدل، كما جاء من كلام له: « وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي....فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ »[٣٨]. يرشدنا عليه السلام هنا إلى أمر هام في توجيه النقد أو المشورة بين الحاكم والرعية، وهو أنه ليس لديه حرج في الإستماع إلى ما يقوله أنصاره، من حق أو عدل أو مشورة، من ناحية. ومن ناحية أخرى أوصاهم أن لا يتركوا قول الحق والعدل والمشورة.

كما أن المحاسبة وهي الرقابة الواعية للسلوك تهدف إلى التمكن من رؤية الإنحراف عند الفرد، وتسمى أيضا التقييم، بمعنى إثبات تطابق أو تباين التصرف أو الفعل مع معايير الأخلاق الاجتماعية. لكن هذه العملية لا تجري بيسر وسهولة دائماً، إنما تواجه صعوبات وتناقضات. فالإنسان قد يحاسب أفعال الآخرين بموجب مقياس مبالغ فيه، مثلا بمقياس المثل الأعلى، بينما يحاسب أفعاله بمقياس منخفض، ناظرا بتساهل وتسامح إلى نواقصه وعيوبه وجوانب ضعفه الأخلاقي. وفي هذه الحال تنشأ محاسبة غير صحيحة، فقد تنشأ لدى الفرد صفات الغرور وعدم تحمل المحاسبة، الأمر الذي يؤدي إلى الصراعات والتوتر بين الفرد والمجموعات الأخرى.

٥.موازين دقيقة في تعامل الإنسان مع الآخرين

لقد سار الإمام، وفقاً لقواعد أساسية، تنظم علاقة الإنسان مع الآخرين، نابعة من السيرة المحمدية، التي تحدد واجب هذا الإنسان تجاه الآخرين، وتوازن كفتي الحقوق والواجبات، القائمة على أساس أن كل ما يرغب به الإنسان لنفسه، ينبغي أن يكون للآخرين مثله، وكل ما لا يرغب به، ينبغي أن يبعده عن الآخرين، ويعامل الناس كما يجب أن يعاملونه به. فضلا عن ذلك، يبين لنا الإمام كيف يتصرف الإنسان عند قوته، وعند ضعفه، وكيف ينظر لعيوبه وعيوب الآخرين.أولاً،توازن كفتي الواجب تجاه النفس واتجاه الآخرين.إن المبادئ التي كان ينادي بها عليه السلام، هي إنسانية في جوهرها تنطلق من فكرة المساواة بين جميع الناس. وكما أن لكل إنسان الحق في السعادة، فإن الآخرين لهم الحق ذاته، وما لا يريده لنفسه ينبغي أن لا يفعله للغير.ففي وصيتة لولده الحسن يقول : « يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ

مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ» [٣٩].وفي القصار من كلماته يقول، بالمعنى ذاته: « كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ »[٤٠]. كما يحذر الإمام أيضا، الإنسان من الأعمال التي يحبها لنفسه ولكنها غير مرغوبة عند الآخرين كما جاء في كتابه إلى الحارث الهمداني بقوله: « وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ »[٤١] .إن هذه العلاقات الإنسانية بين الفرد والآخرين التي ذكرها الإمام تعتبر «قواعد ذهبية» في الأخلاق حسب علماء الاجتماع، ولها صيغ متماثلة، في مختلف أنحاء العالم، منذ قبل الميلاد.فمثلاً الحكيم الصيني القديم كونفوشيوس يقول: « ما لا تريده لنفسك لا تفعله للغير». والحكيم الإغريقي طاليس يقول: «لنمتنع عن فعل ما نعيبه في الآخرين»[٤٢].كذلك الحديث المروي عن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله، هو: « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، عن أنس بن مالك [٤٣].المشكلة هنا في تطبيق هذه المبادئ، لأن العلاقات أصبحت في كثير من الأحيان، لا إنسانية، وكل يفكر بمصلحته ، دون أن ينظر إلى مصالح الآخرين، أو لايهتم بهم.ثانيا، تصرف الإنسان عند قوته وعند ضعفه،يضع لنا أمير المؤمنين منهجاً رائعاً، عن تصرفات الإنسان وسلوكه عندما يصبح قوياً، سواء من ناحية ثروته أو مكانته أو منزلته، ومدى التزامه بالقيم والأخلاق وطاعته للأوامر الإلهية. وبمقابل ذلك يبين ما هو المطلوب من الإنسان أمام الله عندما يكون ضعيفاً، فيقول: « وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ»[٤٤].لكن ما نلاحظه، في زمننا الحالي، هو العكس تماما فالكثير من الناس، حينما يكون واسع القدرة، ينسى الواجبات الإلهية، وآخرون تهبط نفوسهم، في حالة ضعفهم وحاجتهم للمال والناس، فيرتكبون المعاصي والإنحرافات.والأمر المؤسف حقا، أن نجد من أنعم الله عليه بالكثير، يستغل هذه النعم في ارتكاب المعاصي، لذا يحذر الإمام من هذه التصرفات بقوله: « أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ »[٤٥]. لأن أكثر ما يكون الإنسان في غفلة عن نعم الله، حين يكون مغمورا بتلك النعم، والمحزن أنه لا يعرف فضل النعم إلا بعد زوالها.ثالثاً،نظرة متساوية لعيوب الإنسان وعيوب الآخرين.من أسوأ الطبائع والأخلاق هي أن يوجه الإنسان الإتهامات إلى الآخرين بعيوب،هو يشكو مثلها. لذلك يقول أمير المؤمنين : « أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ»[٤٦]. أي أن يرى الإنسان سيئات غيره وينتقدها، لكنه يفعل ما يأباه على الآخرين، ويبيح لنفسه ما يحرمه عليهم. كما يصف الإنسان الذي يقوم بذلك بالأحمق أي قليل العقل، بقوله: « وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فذَاك الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ »[٤٧].لهذا يمدح عليه السلام ،الإنسان الذي يفتش عن عيوبه،عوضاً عن الإنشغال في التفتيش عن عيوب الآخرين فحسب، فيقول:

«طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»[٤٨].

٦. اتباع قادة الحق

من القضايا التي تساعد في بناء النفس البشرية، هي اتباع قادة الحق والصالحين من المؤمنين، بخاصة إذا كانوا في مواقع قيادية ذات مسؤولية كبيرة. غير أن هذا الاتباع والطاعة، ينبغي أن يكون على درجة من الوعي والمعرفة. فمخالفة هؤلاء القادة هو الذي يؤدي إلى نتائج وخيمة وتعطيل تطبيق أحكام الشريعة والدين في المجتمع. وهذا ما حدث زمن أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يمكن أن نرجعه إلى ثلاثة عوامل متداخلة: أولاً، نقص الوعي والمعرفة بأحكام الدين. يعد الجهل بأحكام الدين الحنيف، هو العامل الأساسي في نشوء الإنحرافات ومخالفة قادة الحق والعدل. وقد قسم الإمام، الناس في زمانه إلى ثلاثة أقسام، منهم هؤلاء الذين ذكرناهم فيقول: « النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ»[٤٩]. ثانياً، طاعة كبار القوم بغير حق. لا يتبع كثير من عامة الناس، قادة الحق والعدل، إنما تذهب طاعتهم إلى غيرهم من كبار القوم وشخصيات يحترمونها ويرتبطون بها بعلاقات مختلفة، فهم بهذه الحالة ينقادون بها دون وعي ودون تفحص وبصيرة، لذلك نجد الإمام يحذر الناس من طاعة ساداتهم وكبراءهم، غير الملتزمين بالحق ومبادئ الدين الحنيف، فيقول:» أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لآلائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ إِعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ». الهجينة: الفعلة القبيحة (٥٠)، لآلائه: لنعمه. ثالثاً،اختلاف الغايات والمقاصد. كانت أهداف الإمام هي في إصلاح المجتمع وتطبيق حدود الله بالعدل والحق، بينما كانت غايات قسم من أنصاره، هي مصالح شخصية، لهذا يقول: « وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ للهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لأَنْفُسِكُمْ «(٥١). كذلك يقول: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْه؟ «(٥٢).

٧. العمل الجماعي والابتعاد عن الانعزالية

من القضايا التي تؤثر في سلوك النفس البشرية، هي تلك القائمة على وحدة المصالح العامة والشخصية، بمعنى أن يكون الفرد للجميع، والجميع للفرد(٥٣). وهذا يحتم الابتعاد عن الانعزالية والفردية، التي تجعل كل فرد، ذاتاً، منعزلة لا يفكر إلا في مصلحة نفسه، دون أن يعير الآخرين أي اهتمام، الأمر الذي يؤدي إلى تفكك الروابط بين النسيج الاجتماعي.وقد وصف الإمام هذه الحالة الأنانية، الانعزالية، خير وصف حين شبه الناس الغافلين بالإبل أو الغنم المعدة للذبح لا تعرف ما يراد بها، بقوله: « كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وبيّ، وَمَشْرَب دَوِيّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا

أَمْرَهَـا «.النعم: الإبل أو هـي الغنم . أراح بها :ذهب بها ، السائم:الراعي.الوبي:الردي يجلب الوباء.الدوي:الوبيل يفسـد الصحة، أصله من الدوا بالقصر، أي المرض.المُدى ـ جمع مدية ـ السـكين، أي معلوفة للذبح.تحسـب يومها دهرها:أي لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شـيئاً لما بعد يومها، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع (٥٤).

فضـلا عمـا سـبق فـأن مفاهيـم الروابـط الاجتماعيـة تتبـدل لتصبح معاكسـة لمبادئ القيم الأخلاقية كما وصفها عليه السلام بقوله: « وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّيـنِ، وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَـذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ «(٥٥).

ثالثا، انعكاسات القيم الأخلاقية على المجتمع

إن الأخـلاق ،بصفة عامـة، تعتبر حلقة وصل بيـن الفـرد والمجتمـع، بمعنـى أن المعايير والفضائل الأخلاقية هي التي تدفع الفردي في الاجتماعي، وتضفي معنى ذا دلالة على تعدد الأفعال وجوانب السـلوك في المجتمع، حيث تشـكل الجوهر الأساسـي للتربيـة الأخلاقية التـي تتكون مـن الوعـظ والإرشـاد المجرد، والتطبيـق الفعلـي والممارسـة فـي نواحي الحياة المتعددة، التي سنبين قسما منها.

١.اعتماد نهج سياسي قائم على الفضيلة

لقد كان أمير المؤمنين عليه السـلام ملتزما التزاما شـديدا في نهجه السياسـي، بمبادئ الشـريعة الإسـلامية، لا يدع مجالا لمخالفتها مـن أجـل رغبـة معينة.لهـذا فهـو لا يجيـز استعمال الوسائل غير النبيلة على الإطلاق في سـبيل تحقيق غاية معينة، الأمر الذي جلب له تبعات خطيرة وألحقت ضـررا به، بعكس ما كان يفعل مناوئيه، فعندهم كل شـيء جائز، طالمـا يؤدي إلـى الغاية المنشـودة. فالكذب والغش والخداع والخيانة والسـرقة، جميعها من الوسـائل الممكنـة، غير الأخلاقيـة، التي قد توصل إلـى الغاية النهائيـة. أي أن الغاية تبرر الوسـيلة، حسـب ميكافيللـي. لهذا فهو يوصي ولده الحسـن بقوله: « لاَ تَبِـعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَـاكَ»(٥٦). وتصـل درجة التمسّـك بالقيم عنـد الإمام، إلى الحالة التي يحصل ضرراً من وراء هذا الإلتزام، فيقـول: « إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَـنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَـهُ وَكَرَثَهُ مِنَ الْبَاطِـلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادهُ». كرثه: اشتد عليه الغم بحكم الحق (٥٧). والحقيقة أن العلاقة بين الغاية والوسيلة، هي علاقة فيها إشكاليات عند تطبيقها في الواقع العملي. فعند الإمام «الغاية لا تبرر الوسيلة»، بمعنى أنه يرفض رفضا قاطعا اسـتخدام أي وسيلة غير نبيلة، غير أخلاقية. فعنده الغايات نبيلة والوسـائل نبيلة. لكن هناك من يرى أنه لا يمكـن تطبيـق «الغايـة لا تبرر الوسـيلة»، دائما، فعندهم يمكن تبرير الوسـائل بالغاية، بمعنى أن هناك مسـاومة، تتطلـب من الفرد تضحية ببعـض القيم الأخلاقية لأجل الحفاظ أو الوصول إلى قيم أخرى من مسـتوى أعلى. هذا يعني استخدام وسائل اضطرارية لتحقيق هدف معين، وتطبيـق مبدأ «الضرورات تبيح المحظورات». والأمثلة كثيرة في الواقع العملي على استعمال هذا التجاوز. لكن هذا يتعارض

مع فلسـفة الإمام والمبادئ والقيم التي سـار عليها. ومهما يكـن، كان من الأفضل أن يقرن اسـتعمال الوسـائل الاضطراريـة للتنازل عن قيمة مـا في صالـح قيمة أعلى، شـرطاً وهو اسـتئصال ضرورة اللجوء إليه في المسـتقبل والعمـل علـى معرفة أسـبابه ومنعـه نهائيا. فضلا عن ذلك ينبغي منع ظاهرة تبادل القيم، أي عندما تنقلب الغاية إلى وسيلة، أو العكس. على سـبيل المثال قيمة «الوظيفـة» التي هي غاية، يستثمرها بعض الناس حتى يحققوا بها بعض المصالح، فتتحول إلى وسيلة.

٢. التشديد على مبدأ الحوار أولاً

جميع الحروب الداخلية التي حدثت زمن الإمام علي عليه السلام، جاءت بعد حوارات ورسائل متبادلة بينه وبين مناوئيه، فضلا عن ذلك كان يوصي أنصاره وولاته أن لا يكونوا هم البادئين في الحرب[٥٨].على سـبيل المثـال، كلّم طلحة والزبيـر بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشـورتهما والاسـتعانة في الأمور بهما، وكذلك حين غضبا من التسوية بين المسلمين في قسـمة الاموال[٥٩]، لقد كان ذلك قبل حرب الجمل. كذلك كلامه مع الخوارج، حين اعتزلوا الحكـم[٦٠]. أيضـاً بعـث كتاباً إلـى عمرو بن العاص، يحاول أن يهديه إلى الصواب[٦١]. أما معاوية بن أبي سـفيان، فكانت للإمام رسائل عديدة،تصل إلى ستة عشر كتاباً[٦٢].

وتأكيدا على ما ذكرناه، نجد أن أمير المؤمنين يحاول دفـع الحـرب وتأخيرها علـى أمل أن يهـدي مناوئيـه، كما فـي كلامه إلـى أنصاره بقوله: « فَوَاللَّـهِ، مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ، فَتَهْتَدِيَ بِي وتَعْشُوَ إِلَـى ضَوْئِي، وذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا».تبوء بآثامها: ترجع بها . تعشو إلى ضوئه: تستدل عليه وإن كان ببصـر ضعيف في ظـلام الفتن فتهتدي إليه [٦٣].

٣. متابعة دقيقة للولاة والأنصار

لقد رسـم أميـر المؤمنين علي عليه السـلام، خطة فـي إدارة الحكم، تتضمن متابعة إدارية دقيقة لولاته، التي تشمل الموعظة والتوجيهات والإرشـادات، والتنبيه عن الأخطـاء والتحذير والإنذار والتعنيف والنهي، والمحاسبة المالية. سنذكر قسما من رسائله إلى ولاته بهذا الشأن. فمن أكثر كتبه عليه السـلام شهرة في الإرشاد والتوجيه، هو كتابه إلى الأشتر النخعي عندما ولاه مصـر[٦٤]، التي تعد بحـق خطة متكاملة للحكـم، التـي ينبغي أن يقرأها ويسـتنير بها كل مـن يتصـدى إلى المسـؤولية، لكـن مما يؤسف له نجد الكثير من أنصاره ومحبيه في زماننـا الحالي لـن يطبقوا ما جـاء فيها.وفي كتابـه إلى مصقلة بن هبيرة الشـيباني عامله على أردشـير خُره، يحذره تحذيرا شديدا من المحاباة في تقسيم مال المسلمين[٦٥]. وللتأكد من حسـابات عمالـه، بعث كتابـاً إلى بعض عماله يأمره برفع حسابه إليه[٦٦].وقد كتب إلى عامله على أذربيجان، الأشعث بن قيس، يأمره بالأمانة[٦٧].ومن المحاسبات الدقيقة التي قام بها الإمـام، هي كتابه إلى قاضيه، شـريح بن الحارث، عندما اشترى دارا بثمانين ديناراً[٦٨]، حيـث أراد الإمام التأكد من أن ثمن هذه الدار،

كان مــن مال قاضيه وحلاله، وليس من أموال المســلمين.ومن المتابعات التي تعد في غاية الأهمية مــن وجهة نظرنا، التي قــام بها عليه السلام، جاءت في موقفين. الأول توبيخه واليه على البصــرة، عثمان بن حنيف، عندما حضر إلى وليمة دعي إليها[٦٩]. والتوبيخ كان بسبب حضور الأغنياء فقط إلى الوليمة دون حضور المحتاجين من الفقــراء وغيرهم. أما الموقف الثانــي، هو انتقاده لأحــد أنصاره في البصرة وهــو العــلاء بن زيــاد الحارثــي، عندما دخل عليه، ووجد ســعة داره. لكــن الإمام لم يمنعه مــن امتلاك هــذه الــدار الواســعة، إنما وضع شروطا لها وهي: « تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَــا الرَّحِمَ وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُــوقَ مَطَالِعَهَا » .تقري فيها الضيف: تســتقبل فيها الضيوف . تطلع منها الحقوق مطالعها: تؤدي ما افترض عليك من حقوق إلى مســتحقيها.فأين نحن ما يحــدث اليوم مــن امتلاك القصــور وحضور الولائم لكبارالقوم فحسب؟

٤.التعاطف والتراحم مع الفئات الضعيفة

لقد أكد الإمام في وصاياه على أهمية الإقتراب من الناس والإتصال المباشــر معهم، بخاصة الفئــات الضعيفــة والمظلوميــن والفقــراء والمحتاجين . كما بين ســلبيات الإبتعاد عنهم ،وحــذر من الصفة الســيئة التي تصيب الذين يحصلــون فضل أو نعمة أو زعامة أو منصب، إذ تتغير نفوسهم، ويزدادون تباعدا عن عامة النــاس، بوجه خــاص مــن ذوي الحاجات أو الطبقة الســفلى من المجتمع.لهــذا يقول في كتاب لــه إلى أمرائه على الجيوش: « فَإِنَّ حَقّاً عَلَى اَلْوَالِــي أَلاَّ يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَ لاَطَوْلٌ خُصَّ بِهِ وَ أَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اَللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَ عَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ»[٧١]. كما يوصي عليه الســلام، بصــورة تأكيد، في الإهتمام بالطبقة السفلى في المجتمع، فيقول فــي عهده للأشــتر النخعي:« ثُمَّ اللَّــهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّــفْلَى مِــنَ الَّذِينَ لا حِيلَــةَ لَهُمْ، مِنَ وَ الْمُحْتَاجِــي نَ وَ أَهْــلِ الْبُؤْسَــى وَ الزَّمْنَى». البؤســى: شدة الفقر . والزمنى: وهو المصاب بالزمانــة، أي العاهة[٧٢]. كمــا يقول أيضاً في العهــدة نفســها: « وَاجْعَــلْ لِــذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْــماً تُفَــرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَــخْصَكَ وَتَجْلِسُ لَهُــمْ مَجْلِســاً عَامّــاً فَتَتَوَاضَــعُ فِيهِ للــه الَّذِي خَلَقَــكَ »[٧٣].وهنا يشــير الإمام إلــى قضيتين أساســيتين. الأولى أن يفــرغ الوالي جزءاً من وقتــه لمقابلــة ذوي الحاجات والاســتماع إلى مطالبهــم. والثانيــة، هي فــي طريقة جلوس الوالــي، إذ ينبغــي أن يكــون متواضعا وليس مترفعاً، متكبراً عليهم. ثم يبين عليه السلام أن لا تطول فتــرة احتجاب الوالي عن الرعية، لأن في ذلك سلبيات عديدة، كما يقول: « وَأَمَّا بَعْدُ فَــلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُــعْبَةٌ مِــنَ الضِّيقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُــمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُــرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيــرُ وَيَقْبُــحُ الْحَسَــنُ وَيَحْسُــنُ الْقَبِيــحُ وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ »[٧٤]. الشيء المؤسف، في زماننا، أن الالتزام بتوجيهات الإمام، قليلة جداً، والإبتعاد عن شــريحة المستضعفين هي السائدة في المجتمع.

٥.نقد للمواقـف الحياديـة

هنـاك فئة من الناس تتخذ موقفـا غريباً نحو الصـراع بيـن الحـق والباطل، بخاصـة أثناء الأزمـات والمنعطفـات السياسـية وغيرهـا. إذ أنهـم يسـتطيعوا التعـرف علـى الحق من الباطل، لكنهم لا يرغبوا في التزام أي من هذه المسـارين، لذلـك يتبعوا ما يسـمى بالموقف الحيـادي، أو النأي بالنفس. السـبب في ذلك، يعـود، غالبـاً، لرغبتهـم فـي المحافظة على مصالحهـم ووجودهم. غير أن هـذا الموقف، هـو موقف غيـر أخلاقي، لأنه عملياً سـيكون ضـد الحق، وتعود فوائده فـي النهاية لصالح الباطـل. لأن التهـرب مـن مقاومـة الباطـل وفضحه، إنما يعنـي الوقوف عملياً إلى جانب الباطـل. حدث هـذا الموقف زمـن الإمام علي عليه السـلام، حيـن انتقد ضمنيـاً موقف كل من سـعيد بن مالك وعبد اللـه بن عمر، لأنهما لم يبايعـاه، فيقول: «إِنَّ سَـعِيداً وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَـرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْـذُلَا الْبَاطِلَ»[٧٥]. هذا الموقف السلبي قد أضعف الحق وأضعف موقف الإمام عنـد مناوئيه. تكرر هذا الموقف أثناء قتاله لهولاء المناوئين، حين اعتزل قسـم منهم القتال، فيقول عليه السلام: «خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُـرُوا الْبَاطِلَ»[٧٦]. على هذا الأسـاس، يؤكد أمير المؤمنين، ما ذهبنا إليه، وهو من لم يكـن الهدى واتباع الحـق دليله، جره الضلال إلى الهلاك، فيقول: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِيمُ بِهِ اَلْهُدَى يَجُرُّ بِهِ اَلضَّلاَلُ إِلَى اَلرَّدَى»[٧٧]. ومن المؤسف، أن الأحداث تتكرر في وقتنا الراهن، إذ تشـهد علـى ذلك مواقف معينة لقسـم من الجماعات أو الأفراد، هو ذاته الموقف السـلبي الحيادي، في الصراع بيـن الحق والباطل. ومن خطورة هذا الموقف، هو مساواته بين الحق والباطل. لذا يتطلب الأمر جرأة في قول الحق، والاتجاه نحو مصلحة المجتمع.ولا بـد من التأكيد هنا أن هـذا الموقـف الحيادي الخاطـئ، هو بين الحق والباطل فحسب. أما إذا كان الصراع ببن الباطل والباطـل، أي بين الظالمين، فالموقف هنا هو الإبتعاد عنهـم وتجنبهم، وعدم نصرة أي منهمـا، كمـا يقول الإمام فـي القصار من كلماته: «كُنْ فِي الْفِتْنَـةِ كَابْنِ اللَّبُونِ ، لاَ ظَهْرٌ فَيُرْكَـب ، وَلاَ ضَـرْعٌ فَيُحْلَـب»[٧٨]. أما إذا كان النزاع بيـن أصحاب الحق أنفسـهم، فالصلح والحـوار، هـو الحالـة الطبيعة لهـا.كل هذه المواقـف التي ذكرناها تتطلـب وعيا ومعرفة عالية لتمييز الحق من الباطل، ووضع مقاييس دقيقة للتعرف على منهج العدل والاستقامة.

رابعاً. مفارقات في الأخلاق والسلوك

تشـمل مفارقات الأخلاق والسـلوك،تناقضات في التصرفـات وازدواجيتهـا، وتـحوّل القيم الأصليـة إلى أضدادهـا أو تحريفها، إذ تتبدل مقاييـس مفاهيـم الحيـاة والمبـادىء ، إلى صيغ أخـرى منافية لها، فضلاً عن اسـتغلال الحق لتمويه الآخرين وخداعهم وغشـهم.ولابد مـن القول هنا أن هـذه المفارقات قد تتداخل مع معضلة الوسـائل والغايـات التي ذكرناها سابقاً.

١. تناقضات في السلوك والأخلاق.

المقصـود بالتناقضـات، هـو أن الرذائـل والموبقات والشر معنية

بالدوافع، مثلما هي معنية بالنتائج.لذلك نجد كثيـر من الناس يعتقـدون أنهم يدافعون عن الحـق والعدل، لكنهم في الواقع إنما يدافعون عن قضايا اجتذبتهم أو مصالح فردية خاصة بهم.أضـف إلـى ذلـك هنـاك الأدعيـاء الذين يتظاهرون بمعرفة طرائق علاج وحل مشكلات المجتمع وأزَماته،لكنهم يسـعون إلى تحقيق منافعهـم الذاتية.وقـد انتقد أميـر المؤمنين، هـذا التناقض بقوله: « وَمَا خَيْـرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَـرٍّ، ويُسْـرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ»[٧٩].بمعنى أنه لا فائدة بالخير الذي يناله الإنسان بالشر، ولا فائدة باليسر الذي يناله الإنسان بالرذيلة. كذلك يبين عليه السـلام النتائج غير المرغوبة لهذه الأفعال بقوله: « مَـا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِـهِ، وَالْغَالِـبُ بِالشَّـرِّ مَغْلُـوبٌ». أي إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم، واقتراف معصيـة ، فإنك لـم تظفر ،حيـث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار، وعلى هذا قوله: « وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ »[٨٠].

٢.ازدواجية السلوك

إن ازدواجيـة السـلوك هـي إحدى خصال النفس البشـرية المنحرفة، التـي تظهر فيها الفجـوة والاختـلاف بيـن الإيمـان النظـري، والعمل والممارسة.لذلك نجد أن الإنسان يدعو بأقواله إلى سلوك معين، لكنه يمارس عكسه. فمثـلاً يدعـو ويتظاهـر بالصـدق ويصطنع الأمانـة ، لكن ليس لديه ما يمنعه أن يتخذهما ذريعـة لتحقيق منافعه الذاتيـة فقط. تتجلى هـذه الازدواجية عند كثير مـن الناس في كل زمان ومكان. فمثلاً يعترف أحد هؤلاء الناس، عندمـا سـأله الإمام علـي عليه السـلام ، عن سـبب تفضيله معاوية فأجـاب أننا لم نفضل معاويـة لكننـا فضلنـا متـاع الدنيا، هـذا ما ذكره أبو حيان التوحيـدي في كتابه «الامتاع والمؤانسـة»،بقوله: « وقال علي بن أبي طالب ـ كـرم الله وجهه ـ لرجـل من بني تغلب يوم صفيـن: أَأثرتـم معاويـة؟ فقال: مـا آثرناه، ولكنـا آثرنا القسـب الأصفر ، والبـر الأحمر ، والزيت الأخضر». القسـب: التمر اليابس [٨١]. إن هذا الاعتراف يمثل حالة غريبة في السلوك البشـري،وهو الإصرار على ترك الحق والعدل والتوجه نحو متاع الدنيا. كما أن هذه الأفعال المتناقضـة تتواجـد في نفس الإنسـان ، في حالـة نزاع دائم ، بين ما يضطر هذا الإنسـان إلى فعلـه ، وما يريده ويرغبه داخل سـريرة نفسـه.لذا فإن هـذا الازدواج الداخلي ، وهذه القطيعة بين النوايا الطيبة والأفعال السـيئة، هي التي تؤدي إلى النفاق والرياء.

٣.تغيّر المقاييس والأحكام

في زمن الانحلال الفكري والأخلاقي ، زمن اختلاط الحق بالباطـل تتبدل مفاهيم الحياة، إذ تتحول إلى أضدادهـا، أو إلى تحريفها عن مسارها الصحيح، فيصبح،مثلاً، الحق باطلاً، والباطل حقاً، والغدر حُسن تدبير، وهكذا. وقد ذكر الإمام عليه السـلام، ما قال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم بما سـيحدث من بعـده في تحريـف الأحكام: «يَـا عَلِيُّ إِنَّ اَلْقَـوْمَ سَـيُفْتَتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ يَمُنُّـونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَ يَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَ يَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ وَ يَسْـتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّـبُهَاتِ اَلْكَاذِبَةِ»[٨٢].

كما وصف عليه السلام هذه الحالة بقوله: « وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اِتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ اَلْغَدْرَ كَيْساً وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ اَلْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ اَلْحِيلَةِ» . الكيس : العقل، وأهل ذلك الزمان يعدّون الغدر من العقل وحسن الحيلة [٨٣] .

خاتمة:

بعد رحلة طويلة، مع سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، التي تخص أثر القيم الأخلاقية في السلوك الإنساني، حيث كان فيها عالماً عارفاً بسريرة الإنسان وتصرفاته وسلوكه، كما نجده في الوقت ذاته ثابتا على مواقفه المبدئية الأخلاقية النابعة من الأحكام الإلهية والسيرة المحمدية. لذلك كانت غايته إصلاح المجتمع، وتهذيب النفوس وتربيتها تربية صالحة وفقا لهذه الأحكام. غير أن جميع محاولاته في هذا المجال واجهت مقاومة شديدة من تلك النفوس المريضة الضالة، التي أصرت على تفضيل مصالحها الأنانية ومنافعها الشخصية، مستخدمين في ذلك جميع الأساليب التي لا تنسجم مع المبادئ والقيم الأخلاقية للدين الحنيف. يمكننا إذن أن نستخلص من السيرة العلوية، بعض القضايا التي تهم السلوك الأخلاقي من أهمها:أولا، إن درجة وعي الإنسان ومعرفته بأحكام الدين الحنيف ،والمبادىء الإنسانية، هي ضرورة من أجل التوجه الصحيح في المجتمع وإصلاحه. ثانيا، الاعتماد على الدليل العادل والمرشد الأخلاقي الذي يعين الناس في خياراتهم ويرشدهم إلى المبادئ السليمة في السلوك والأخلاق، وتشخيص الانحرافات في المجتمع، ثم معرفة الحق من الباطل، والفضيلة من الرذيلة، والصواب من الخطأ. ثالثا، يوجد مبدأين أساسيين متصارعين يحكمان السلوك الإنساني: الرغبات الأنانية، والقيم الأخلاقية الإيجابية.رابعا، إن القيادة الجيدة الحكيمة، يبدو في كثير من الأحيان أنها لا تنجح في بيئة سيئة فاسدة، إذ يظهر ذلك بوضوح الفرق الشاسع بين القيادة الأخلاقية والجمهور المنحرف.خامسا، التأكيد على الإحساس في معاناة الضعفاء والمحتاجين، والتعاطف معهم ودعمهم ،فضلاً عن التواضع لهم. سادسا، نتيجة للتعلق الشديد بنعم الحياة، بخاصة تلك الناجمة عن استخدام وسائل غير أخلاقية،فإنها تشكل طبع فريد عند كثير من الناس ،إذ نجد هناك من يستسلم أمام أحوال الطمع ويصبح عبداً لرغباته، وهناك من يعيش ليأكل،وهناك من يجيز في سلوكه التذبذب والانحراف عن معايير الأخلاق الحميدة. .سابعا، لا يمكن التضحية بالقيم الأخلاقية الإيجابية من أجل مصلحة أنانية شخصية.

الهوامش:

(١) لاوبنكبرا وبانتاه ،المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة توفيق سلوم،دار التقدم، موسكو،١٩٨٦،ص ٣٨٢.

(٢) إقبال زكي وآخرون، المعجم الكبير، ج٦،حرف الخاء، مجمع اللغة العربية، القاهرة،٢٠٠٤، ص ٧٣٨.

(٣) أفاناسييف،أسس المعارف الفلسفية،دار

التقدم،موسكو،١٩٨٥،ص٣٩٧.

(٤) محمـد خير أبو حرب،المعجم المدرسـي، وزارة التربية،دمشق،١٩٨٥، ص٣٢٦.

(٥) فخري الدباغ،السلوك الإنساني،كتاب العربي،١٢، الكويت،١٩٨٦،ص ٣١.

(٦) محمـد عبـده، نهـج البلاغة،مؤسسـة الأعلمـي، بيروت،١٩٩٣،ص٧٠٦.

(٧) المصدر نفسه،ص٣٥٢.

(٨) المصدر نفسه،ص٣٥٢.

(٩) المعجم المدرسي، مصدر سابق،ص٩٤٢.

(١٠) السلوك الإنساني،مصدر سابق،ص٣١.

(١١) نهج البلاغة/عبده، مصدر سابق، ص٦١٣.

(١٢) المصدر نفسه،ص٦٦٩.

(١٣) المعجم المدرسي،ص٦٥٦.

(١٤) نهج البلاغة/عبده،ص٥٣٨.

(١٥) المصدر نفسه،ص٦٧٤.

(١٦) المصدر نفسه،ص٣٢٠.

(١٧) المصدر نفسه،ص١٠٠.

(١٨) المصدر نفسه،ص٢٩٢.

(١٩) المصدر نفسه،ص٢٩٣.

(٢٠) المعجم المدرسي،ص٩٧١.

(٢١) نهج البلاغة/عبده،ص٣٥٢.

(٢٢) ألكسـندر تيتارينكو،علـم الأخلاق،ترجمـة دار التقدم ، دار التقدم، موسكو،١٩٩٠ ، ص٣٤٥.

(٢٣) نهج البلاغة/عبده،ص٦٦٢.

(٢٤) المصدر نفسه،ص٩٦.

(٢٥)المصدر نفسه ،ص ٦٤٩.

(٢٦)المصدر نفسه،ص٦٦٠.

(٢٧)المصدر نفسه،ص١٠٠.

(٢٨)المصدر نفسه،ص٧٢.

(٢٩)المصدر نفسه،ص٣٣١.

(٣٠) المصدر نفسه،ص٣٤٨.

(٣١)المصدر نفسه،ص٤٦٧.

(٣٢)المصدر نفسه،ص٥٨٣.

(٣٣)المصدر نفسه،ص١٧٨.

(٣٤)المصدر نفسه،ص٤٥٢.

(٣٥)المصدر نفسه،ص٦٧١.

(٣٦)المصدر نفسه،ص١٨٧.

(٣٧)المصدر نفسه،ص١٨٨.

(٣٨) حسـين الأعلمي،شـرح نهـج البلاغـة لأبن أبي الحديد،مج٣، بيروت،١٩٩٥،ص٣٠٤.

(٣٩) نهج البلاغة/عبده،ص ٥٣٣.

(٤٠)المصدر نفسه،ص ٧١٨.

(٤١)المصدر نفسه، ص ٦١٥.

(٤٢) علم الأخلاق، ص ٢٩٣.

(٤٣) ابـن رجـب الحنبلي،جامـع العلـوم والحكم،ج١،تحقيـق شـعيب الأرنـؤوط وابراهيـم باجاس، مؤسسة الرسالة،بيروت،٢٠٠١،ص ٣٠٢.

(٤٤) نهج البلاغة /عبده، ص ٧١٤.

(٤٥)المصدر نفسه، ص ٧٠١.

(٤٦)المصدر نفسه ، ص ٧٠٥.

(٤٧)المصدر نفسه، ص ٧٠٤.

(٤٨)المصدر نفسه ، ص ٣٥٧.

(٤٩) نفسه ، ص ٦٥٩.

(٥٠)المصدر نفسه ، ص٣٩٨.

(٥١)المصدر نفسه ، ص ٢٨٤.

(٥٢)المصدر نفسه ، ص ٢٧١.

(٥٣) علم الأخلاق ، ص ٢٨٨.

(٥٤) نهج البلاغة/عبده ، ص ٣٥١.

(٥٥)المصدر نفسه ، ص ٢٣٦.

(٥٦)المصدر نفسه ، ص ٥٢٨.

(٥٧)المصدر نفسه ، ص ٢٧٠.

(٥٨)المصدر نفسه ،ص ٥٠١ ، ٥٠٣.

(٥٩)المصدر نفسه ، ص ٤٣٦.

(٦٠)المصدر نفسه ، ص ١٣١.

(٦١)المصدر نفسه ، ص ٥٥١.

(٦٢)المصدر نفسه ،ص ٧٤٦ ـ ٧٤٩.

(٦٣)المصدر نفسه ، ص ١٢٨.

(٦٤) المصدرنفسه ، ص ٥٧١.

(٦٥)المصدر نفسه ، ص ٥٥٦.

(٦٦)المصدر نفسه ، ص ٥٥٢.

(٦٧)المصدر نفسه ، ص ٤٩٤.

(٦٨)المصدر نفسه ، ص ٤٩١.

(٦٩)المصدر نفسه ، ص ٥٥٨.

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٤٣٩.

(٧١)المصدر نفسه ، ص ٥٦٨.

(٧٢)المصدر نفسه ، ص ٥٨٧.

(٧٣)المصدر نفسه ، ص ٥٨٨.

(٧٤)المصدر نفسه ، ص ٥٩٠.

(٧٥)المصدر نفسه ، ص ٦٨٧.

(٧٦)المصدر نفسه ، ص ٦٢٧.

(٧٧)المصدر نفسه ، ص ٩٤.

(٧٨)المصدر نفسه ، ص ٦٢٧.

(٧٩)المصدر نفسه، ص ٥٣٨.

(٨٠)المصدر نفسه ، ص ٧٠٠.

(٨١) إبراهيم الكيلاني،من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي،القسم الأول،وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق،١٩٧٨، ص ٣١٢.

(٨٢) نهج البلاغة/عبده، ص ٣١٤.

(٨٣)المصدر نفسه، ص ١١٥.

The impact of moral values on building the human psyche and its behavioral repercussions in society, In view of the biography of Imam Ali, (peace be upon him)

By: Ahmed Mohamed Jawad Al–Hakim
Iraqi researcher and academic

Abstract

The researcher is interested in studying the nature of the human psyche and then arriving at a better understanding of human behavior and his conduct in society, Through the influences of moral values, which are among the most complex that scientists, thinkers, reformers and leaders have faced throughout the ages whose goals were, It is the moral control of the inclinations of this person and the control of his whims and selfishness.

The researcher showed how some of the scholars tried to fix this with only theoretical procedures, through preaching and abstract guidance, without having any effective practical position in society. On the other hand, there are those who embarked on their efforts by combining the theoretical and practical aspects. Among them is Imam Ali Bin Abi Talib, peace be upon him, who was a scholar, wise, jurist, and on the other hand he is the ruler and caliph of the Muslims. Therefore, his biography, sermons, wills and messages came in the midst of his battles and his hard struggle in order to establish the values of truth, justice and equality. This changed his fierce struggle against various types of moral evil and against behavior that deviated from the requirements of Islamic morals. That is why we find him, through his biography, making a careful analysis and a deep description of the nature of the human soul and exploring its depths and secrets, and on the basis of this biography, the researcher dealt in this research with the impact of moral values on building the human soul and its behavioral repercussions in society, through four axes: What is meant by values Ethics, human behavior and actions, then the means of building the human soul and the implications of moral values on human beings in society, and paradoxes in morals and behavior.